

بحث بعنوان :

التكوين العقدي لشخصية المسلم

في ضوء تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن

دراسة موضوعية

في ظلال المحور الثاني

أثر تدبر القرآن الكريم في الارتقاء بالأمة

(تدبر القرآن الكريم وصناعة الشخصية المسلمة)



إعداد

دكتور

محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة والأديان بجامعة الأزهر بالقاهرة

والمملك فيصل . كلية الآداب بالإحساء . وعضو جمعية العقيدة والأديان بالجامعة الإسلامية

إيميل / elgendy1175@yahoo.com

السعودية جوال / ٠٥٠٢٦٣٢٧١١

مصر / ٠٠٢٠٩٥٢٤٦٣٤٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب، وعجزت العقول عن إدراك كنه ذاته، وتاهت فهوم الفحول في درك عظمة بيان كتابه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد بألوهيته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الزهاد، وقدوة العباد، صلاة وسلاماً عليه وعلى آل بيته الأطهار ...

وبعد

ففي متابعة لقصة التدين في صعودها الشاهق ، وأحدارها الساحق في ذاتية الإنسان ، بين عقول قاصرة ، وأهواء حائرة ، وبين حلول غيوم التمدن ، وأفول شمس التدين ، تبحث شخصية المسلم عن التدين في أسمى معانيه ، وفي أبهى صورهِ ومبانيهِ ، لأنه فطرة في تكوينها ، فتتسنى ذروة بحثها متدبرة في آي الله في القرآن لتجسد لعبه في كينونتها ، وترسم لها في ملامحها ، وتعد قصص إبراهيم . من وابل عظيم مغمور بالعبر . في القرآن نموذجاً لتوجيه الأصول الداخلية للشخصية (الروحية ، القلبية ، العقلية) لله تعالى بالكلية ، فهذه الأصول في شخصية المسلم بمثابة جناحين يرتفع بهما ويرقى عن حمأة المادة المظلمة إلى مشرق العقيدة المضئية ، وقد دعا الإسلام هذه الأصول التكوينية إلى التوجه لله تعالى بالكلية ، وطالبها بتوحيده واليقين فيه عبر قنوات التأثير الوجدانية والتأملية والفطرية ، حتى تصير شخصية المسلم في صلتها بربها نزيهة نقية خالية من معكرات الصفو ومكدرات النقاء .

وفي هذا البحث نصنف لهذه الأصول عبر قنوات استشعارها بتوحيد ربها ، وصدق الإيواء إليه من خلال طريق إبراهيم عليه السلام ومنهجه الرباني ، إذ يعد منهج " إبراهيم عليه السلام " نموذجاً مهماً في بناء شخصية المسلم على أساس متين من العقيدة الصحيحة ، وقد أخذ منهجه موضع اهتمام القرآن في عرض ما اشتملت عليه دعوته من أهداف العقيدة وضوابطها بأساليب نظرية وعملية، وطرق مجدية نافعة، رسم بها الطريق للقلوب التائهة لتتهدي إلى نور التوحيد .

وتلك مهمة القرآن ف " إطالة التأمل في القرآن ؛ تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذاقيرهما وعلى طرفاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلها ، وتثبت قواعد الإيمان في قلب المسلم ، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه ، وتبصره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وما يجبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه ، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتهما ، وتعرفه النفس وصفاتها ، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه

طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسماهم ، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترون فيه" (١) .

ولقد أشاد القرآن الكريم بمواقف إبراهيم عليه السلام النبيلة الثابتة، وشهد له بعزمته القوية الصادقة لا سيما مع أبيه في سبيل دعوته إلى توحيد الله تعالى ، وقد كان من خصائص دعوته الشمول والواقعية ، وذلك ليس بدعا في الدين ، فهو من طبيعة المنهج الذي يرسم له هذا الدين القيم ، والذي نستمد منه يقيننا الراسخ الذي لا يتزعزع .

وإن البشرية لتحتاج إلى فهم منهج إبراهيم عليه السلام، وتحتاج إلى الاستفادة من قصصه التي تتبع من اليقين وتندفق به ، ومهما مضت البشرية في اعتساف تجارب متنوعة هنا وهناك- كما هي الآن ماضية في الشرق وفي الغرب سواء- فلا مناص من نهاية هذه التجارب عند حد بعينه ، فهذه التجارب كلها تدور في حلقة مفرغة مؤقتة ، وداخل هذه الحلقة لا تتعداها ؛ حلقة التصور البشري القاصر المحدود ، والتجربة البشرية العقلية المجردة الضيقة ، والخبرة البشرية العاجزة المشوبة بالنقص والوهن والضعف والهوى ، بخلاف منهج إبراهيم عليه السلام وإخوانه من المرسلين ، فهو منهج رباني موصوم بالكمال لا بالنقص ، وبالقدرة وليس بالضعف ، وبالحكمة لا بالهوى ؛ إنه منهج يدعو إلى تخليص البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، وقد ضرب إبراهيم عليه السلام أروع مثال في بيان هذا المنهج الرباني ، ومنها ما جاء في قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ أَنْتَ خِدْمَةَ آلِهَةٍ إِيَّيَّ أَزَاكٍ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِيَّيَّ بُرِّئُوا مِمَّا تُشْرِكُونَ إِيَّيَّ وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى أيضا عن إبراهيم عليه السلام :

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِيَّيَّ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِيَّيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (٣) .

فيال منهج إبراهيم عليه السلام .. إنه منهج بنائي دقيق لشخصية المسلم ؛ يؤصل للتوحيد بصورة عملية حوارية رائعة ، تقوم على الحجة والبرهان والعقل ، وتربي القناعة وتزيل الشك ، ومن صور ذلك قوله تعالى :

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق :

محمد حامد الفقي (ط. دار الكتاب العربي - بيروت ، طبعة ثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣) ج ١ ، ص ٤٥١ .

(٢) سورة الأنعام : ٧٤ / ٧٩ .

(٣) سورة مريم : ٤٢ / ٤٦ .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سِعْنًا فَوَيْ يَذُكُرُهُمْ يُعَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأَنُؤُا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَ لَكُمْ لَكُم وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿١﴾ .

ولما كان منهج إبراهيم عليه السلام دستورا في تقويم بناء شخصية المسلم ؛ أصبح من الضرورة دراسة الآيات التي تحدثت عنه إثباتا للتوحيد كما عرضه القرآن الكريم من حيث أهميته وضرورته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب على كل مسلم تجاهها ، فيجعلها نصب عينيه ويلتزمها في كل شئون حياته العلمية والعملية، حتى تكون همّ حياته ومصدر سعادته ، مدركا أنه لا معنى لوجوده ، ولا سبيل لنجاته إلا بها.

• أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث وثمرته من حيث استنباطه وتطبيقاته والاستفادة منه في بناء الشخصية المسلمة ، ومن ثم بناء المجتمع كله وحاجته إليه من خلال عرض جوانب البناء والترسيخ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن ، ومدى تحقيق الأهداف والمطامح والنتائج والغايات المرجوة من وراء ذلك ، ومن هنا يتصدر موضوع البحث (التكوين العقدي لشخصية المسلم في ضوء تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن) أهم الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إليها لبناء شخصيتنا على يقين عقدي لا يزول وإن زالت الشوايح العوالي ، لا سيما في زمن فسد فيه معتقد كثير من الناس ، وتبلبلت أفكارهم تجاه دينهم وشريعتهم، فما حصل أو يحصل من ضعف الوازع الديني أو خروج الناس على أحكام الله ، أو إهمالهم أوامر الله ونواهيه ، وتساهلهم في ارتكاب المحرمات ؛ إلا بسبب الخلل العقدي الذي أصاب شخصيتهم ، أو لعدم جدواهم في اتباع قواعدها المرسومة وفق شريعة الله تعالى ، فانتشر الإلحاد والملحدون في المجتمعات البشرية ممن يزعمون العلم والفهم وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية وطمس معالم الحق في الناس.

• الهدف من البحث:

تهدف الدراسة إلى الوقوف على قصص القرآن المرتبطة بإبراهيم عليه السلام والتدبر والتفكر فيها ، والتعلم منها
لكيفية غرس العقيدة كأساس في بناء وترسيخ ملامح النهوض التكويني في شخصية المسلم .

منهج الآيات في عرض موضوع الدراسة :

إنّ منهج الآيات بمجموعها وحسب تناولها للموضوع تدور حول محورين رئيسين:

المحور الأول: بيان تكوين القصص الإبراهيمي للجوانب الأصيلة في شخصية المسلم .

المحور الثاني: بيان تناغم الموارد الأصيلة للكينونة الداخلية في المسلم ورسائل الحواس من خلال دعوة
إبراهيم عليه السلام .

. أما منهجي في عرض الموضوع، فإنني ذكرت الآيات التي تناولت الأساليب النظرية والعلمية في بناء الشخصية
المسلمة على أصول الدين وما يتعلق بها، وتفسير الآيات وبيان ما بينها من الصلة والترابط، وذكرت ما فيها من
الفوائد والآداب والإرشادات والتوجيهات الربانية الكريمة، مدعماً ذلك بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية
الشريفة ، وقد اعتمدت في منهجية الدراسة على المنهج الموضوعي .

خطة البحث:

اشتمل البحث على : مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة مباحث وخاتمة :

المقدمة: وفيها بيان لأهمية الموضوع ولأهدافه ، ولمنهج الآيات في عرض الموضوع ، ولخطة البحث .

التمهيد : حول مفهوم التدبر .

المبحث الأول : تدبر قصص إبراهيم عليه السلام وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم .

المبحث الثاني : أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في ربط الميل القلبي بالله تعالى .

المبحث الثالث : أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

التمهيد

حول مفهوم التدبر

عند البحث في معنى التدبر نجد من الكلمات الواردة في القرآن على أصل معناها اللغوي في أغلب استعمالاته ، وفيما يلي بيان ذلك :

● مفهوم التدبر :

جاء في لسان العرب " دَبَّرَ الأمر وتدبَّره أي نظر في عاقبته وعرف الأمر تدبرا أي بآخره، فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره ، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة.. والتدبر في الأمر: التفكير فيه" ^(١) ، و" التدبر مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته" ^(٢) .
وفي التعريفات : " التدبر: النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب " ^(٣) .
وفي معجم مقاييس اللغة : " التدبر من: دَبَّرَ - بفتح الدال والباء - وجُلَّهُ في قياس واحد ، وهو : آخر الشيء، وخلفه ؛ بخلاف قُبِّلَهُ" ^(٤) ، وقيل : "تَدَبَّرْتُهُ تَدَبُّرًا : نظرت في دبره وهو عاقبته وآخره" ^(٥) .

● المراد بتدبر القرآن :

دارت كلمة " التدبر " لآي الله في القرآن حول عدة معان منها (التأمل ، التفكير ، الاعتبار ، التعقل ، الامتثال ، التفهم) ، ونذكر فيما يلي بعضا من أمثلته :
يقول ابن القيم : تدبر القرآن " هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ^(٧) ، وقال

(١) لسان العرب ، محمد بن منظور (ط. دار صادر ، بيروت ، د.ت) ج ٤ ، ص ٢٦٨ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ .

(٣) التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، (ط. دار الشروق ، ط. ثالثة ، سنة ١٣٩٩هـ) ص ١٦٧ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي ، سنة ١٤٢٣هـ) ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٥) المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية ، د.ت) ص ١٠٠ .

(٦) سورة ص : ٢٩ .

تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣) " (٤) .
 وقال: "وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ولهذا جاء على بناء
 التفاعل كالترجع والتفهم والتبين" (٥) .
 وجاء في أضواء البيان: "تدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها، وتفهمها، وإدراك معانيها
 ، والعمل بها" (٦) ، وقيل: "التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميها البعيدة" (٧) ، إذن "
 تدبر القرآن هو تفهم معاني ألفاظه ، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة ، وما دخل في ضمنها ، وما
 لا تتم تلك المعاني إلا به ، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات ، وانتفاع القلب بذلك
 ؛ بخشوعه عند مواعظه ، وخضوعه لأوامره ، وأخذ العبرة منه" (٨) .
 وفي الإتيان: "وتسن القراءة بالتدبر والتفهم ، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما
 يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما
 مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ أو تنزيه نزه وعظم، أو
 دعاء تضرع وطلب." (٩) .

(١) سورة محمد : ٢٤ .

(٢) سورة المؤمنون : ٦٨ .

(٣) سورة الزخرف : ٣ .

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد
 حامد الفقي (ط. دار الكتاب العربي - بيروت ، طبعة ثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣) ج ١ ، ص ٤٥١ .

(٥) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم الجوزية (ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت) ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤٢٩/٧ .

(٧) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى ، عبدالرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم - دمشق - ط. ثانية - سنة
 ١٤٠٩ هـ) ص ١٠٥ .

(٨) تدبر القرآن ، سليمان السنيدي ، (ط. المنتدى الإسلامي ، ط. أولى ، ١٤٢٢ هـ) ص ١١ .

(٩) الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث ، القاهرة ، د. ت) ج ١ ، ص ١٢٧ .

المبحث الأول

تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم

إن توجهات الإنسان في ذاتها مجردة - بلا عقيدة دافعة - مجرد مسالك خاوية ومهاو سحيقة ، عديمة الحياة ، فقيدة الروح ، والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشرقة من روح الإيمان المكونة لروحية الإنسان ، والروح نفسها بلا إيمان لن تشرق ، إنها تكون عديمة مقفرة ، ولا تنبت نبتة الإيمان في روح باردة لأنها لا تنتج ، ولا يعدو صاحبها كونه كائناً يدب على وجه الأرض في صورة بشر ، ومن دعائم روحية الإنسان ومكونات إيمانه تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن ، وقبل أن نطوف في ظلال ذلك نعرف بالجانب الروحي :

• حول مفهوم الجانب الروحي :

إن الجانب الروحي مبعثه الروح ، والروح في اللغة : " ما يقابل المادة ، والروحية تقابل المادية ، وتقوم على إثبات الروح وسموها على المادة" ^(١) ، على اعتبار أن " الإنسان مركب من روح وجسد ، والروح هو الأول في الوجود ، ثم تألف الجسد من عناصر الأرض وطبيعتها ليكون مقراً لهذه الروح ومظهراً لها ، والروح نورانية لطيفة ، والجسم مظلم كثيف ، وهي قوة فعالة ، وهو متغير ضعيف ، ولما أراد الله خلق الكائنات ، خلق خلقاً نورانياً عظيماً جداً في خلقه ، قوياً جداً في تأثيره ، وهذا المخلوق هو الروح " ^(٢) .

إذن الروحانية هي الأصل والمادية طرأت عليها ، فالروح أولاً ، وهي طرف الحوار الذي أشهد الله فيه الإنسانية على ربوبيته وصدق ألوهيته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ ^(٣) .

وهذا الموطن هو الذي يحمل معنى الروحانية في الإنسان ، لأنه يقابل المادية فيه ، والتي يحملها الجسد بتكوينه الأرضي ، أما باقي ما ورد من كلمة " الروح " في الكتاب العزيز فهو يحمل معانٍ متباينة " ولفظ الروح تكرر في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة " ^(٤) .

ومبنى كلامي هنا على أساس أن الروح هي وجدان الإنسان الداخلي ، وضميره المستتر الذي يستشعر ويرهف ويتذوق ، وذلك لا يعد كشفاً لحقيقة الروح ، فهي أكبر من أن نعرفها ونطلع على حقيقتها نحن

(١) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، باب الرء ، مادة (روح) ص ٣٩٤ . ٣٩٥ .

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، محمد السيد أرناؤوط ، (مكتبة مدبولي ، د.ت) ص ٣٨٧ .

(٣) الأعراف : ١٥٢ .

(٤) العقيدة والأخلاق ، محمد سيد طنطاوي ، (طبعة دار السعادة ، طبعة أولى ، سنة ١٤١٨ هـ ، سنة ١٩٩٨ م) ص

البشر حيث قال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) وما ورودنا عليها إلا لدرك فهمها ، ومعرفة حركتها من خلال مظاهرها وإشاراتها المستمرة ، فالروح في اصطلاحنا الذي نسير عليه هي الكيان الداخلي للإنسان.

• تدبر قصص إبراهيم عليه السلام وتحريك الجانب الروحي نحو الإيمان :

إن قصص إبراهيم مع قومه في القرآن يعد تحريكاً فاعلاً لقوة الروح المتحكمة في توجيه العزائم والهمم نحو توحيد الله تعالى في الشخصية المسلمة ، وتحريك الهمم لا شك أنه يبدأ من قوة العقيدة الصحيحة ، فالعقيدة لها الحاكمية المطلقة على تصرفاتنا ومدى دقتها وإتقانها، ومن خلالها ينفذ الطابع الأخلاقي " والحياة الروحية في الإسلام تجرى على سنن القصد الصالح للحياة البشرية، لا استغراق في الجسد، ولا انقطاع عن سبيل الآخرة " (٢)، يقول ابن القيم رحمه الله:

"فإن الله سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًا، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة في كل وقت بحسب ثباتها في القلب وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يشتمها قلبه الله ويشهد بها لسانه وتصديقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولو ازماها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائفة سالكة سبل رها ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً " (٣) .

وقال : " ولا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً ، فلا ريب أن هذه الكلمة - يقصد كلمة التوحيد . من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛ فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كثيراً طيباً يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٤)، فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملاً صالحاً كل وقت.. " (٥).

وقصص إبراهيم في القرآن تبني في كينونة الشخصية معالم الحياة الروحية بقوة على أعمق صور الإيمان

(١)الإسراء: آية ٨٥ .

(٢)الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب الكريم، عباس محمود العقاد ، (طبعة دار نهضة مصر، د. ت) ص ١٥١ .

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (ط. دار الكتب العلمية - بيروت ، ط. أولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) ج١، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) سورة فاطر : آية ١٠ .

(٣): إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ج ١، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

بالله ، فمثلا في قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ^(١) ؛ نجد إبراهيم عليه السلام " يقصر الهداية إلى الحق على الله تعالى دون آلهتهم ، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه أهل العقول بأن الذي يهدي إلى الحق يوصل إلى الكمال الروحاني وهو الكمال الباقي إلى الأبد ، وهو الكون المصون عن الفساد ، فإن خلق الأجساد مقصود لأجل الأرواح، والأرواح مراد منها الاهتداء، فالمقصود الأعلى هو الهداية ، ولما كانت العقول عرضة للاضطراب والخطأ ؛ احتاجت النفوس إلى هدي يتلقى من الجانب المعصوم عن الخطأ وهو جانب الله تعالى، فلذلك كان الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع لأنه مصلح النفوس ومصلح نظام العالم البشري، فاتباعه واجب عقلا واتباع غيره لا مصلح له، إذ لا غاية ترجى من اتباعه" ^(٢) .

● قصص إبراهيم عليه السلام وتوجيه الأرواح لتوحيد ربها :

ما إن تتكون في شخصية المسلم حياة روحية إيمانية قوية ؛ إلا ويصدق بما صدح به إبراهيم من حين عبر عن تجرد روحه من المؤثرات الشركية وعوارضها، منتسبة إلى بارتها بكليتها ، قال تعالى في ذلك : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٣) .

إن نبي الله إبراهيم عليه السلام من خلال ما ذكره الله على لسانه يكون في شخصيتنا ينبوعا وجدانيا ، يناجى ضميره ويناغيه في صميم معناه، ويناقشه في سويداء قلبه، ويبين له قيمة عنصره ورقى جوهره إذا أحسن الوجهة لله تعالى ، ويكاشفه بجمال ذاته إذا أفرد مولاه بالتوحيد ونبذ الشرك ، ويفصح له من سوءات الدنيا قصر مدتها، وتزاحم آلامها وشدة محنتها ، ويهون في عينه كل شديد ويلتذ بكل عذاب ، ويستلفته إلى الذين وقفوا قواهم في حبها وعبودها واستنفذوا طاقتهم في إرضائها ، ولم تنزل كلمات إبراهيم عليه السلام بالمسلم كلما تدبر معانيها في القرآن ؛ ينبوعا صافيا يوقظه من سكرته، ويبعثه من غفلته، ويستولى عليه بكليته ثم يفتح له من جانب روحه نافذة تطل به على كنوز معناه من ذخائر الصفاء المعنوي، ولطائف مكنون النعيم الروحي، وحقائق السعادة الأبدية، وما إن يصل إلى هذه الحياة المليئة بالإيمان إلا ويجياها أو يهلك دونها، فتصبح حياته روحية صافية .

إن إبراهيم عليه السلام عاش هذا الشعور بكله ، ووصى به بنيه من بعده لئلا يجرموا لذائذه المنبعثة من العقيدة الصحيحة ، فلذائذه تفوق لذائذ الهوى والشهوة " وليس في الأحياء أشقى من هذا الإنسان الذي يعيش

(١) سورة الشعراء : ٧٨ .

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان ، طبعة أولى، ٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م) ج ١١ ، ص ٧٧ .

(٣) سورة الأنعام : ٧٩ . ٨٠ .

لمطالب نفسه وجسده دون أن يجد في نفسه القدرة على الاستعلاء عليها والتحكم فيها، إنه حينئذ يفقد وجوده، ويتحول إلى أداة مسخرة، ومطية ذلول لشهوات جسده وأهوائه، تلك الشهوات والأهواء التي لا تسعف الحياة بإشباعها أبداً، إن الحياة الإنسانية في هذا التصور تبدو كثيبة تطل بوجه بغض كالح يتهدد الناس بالشر، وينذرهم بالبلاء " (١) ، ومن هنا كان لتدبر تجرد إبراهيم عليه السلام لله أثر في تكوين شخصية المسلم الذي يريد بناء نفسه بناءاً لا تنازعه فيه نفسه ، وهو الامتداد الذي سار عليه إبراهيم عليه السلام ويعقوب من بعده في تكوين أبنائه من خلال وصيته ، قال تعالى :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وهذا الذوق الروحي للإيمان هو الذي جعل إبراهيم عليه السلام لا يأبه بحجاج قومه في الله حين " خاصموه في التوحيد ، فقال لهم : ﴿ أتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ ﴾ أي : في وحدانيته ، أو في الإيمان به ، وقد هداني إلى توحيده وأرشدني إلى معرفته ، فلا ألتفت إلى غيره ، ولا أعبأ بمن خاصمني فيه " (٣) وكيف يعبا بهم وقد ذاق روحه حلاوة الإيمان وتشربت من منابعه الصافية ؟ !! إن هذا لشيء عجاب حين يُنتظر من إبراهيم عليه السلام تسليماً للشرك ، ما سمعنا به في عالم النبوة وقصص الأنبياء .

وما إن تتكون في شخصية المسلم هذه الدرجة العالية من الرسوخ الروحي الإيماني إلا ويتجرد " عقله عن جميع الإدراكات، وتتعطل حواسه عن أحكامها، ثم تنسلخ نفسه عن الهيكل الجسماني ومطالبته الشهوانية الملحة ، وبعد ذلك يتوجه بقلبه ويزداد معرفة بربه تعالى فيتجرد بعدها من المواد الجسمانية ولواحقها، ولا يبقى فيه إلا الانجلاء الروحي غير المقيد بشيء من الأجسام وعوارضها، ولا يرى حقيقة قلبه في تلك الحالة إلا نوراً بسيطاً محتويًا بجميع ما كان وما يكون، منتسبة إلى باريها لأن جهل النفوس بذواتها وبارئها إنما نشأ من الشواغل البدنية " (٤) .

وعليه فالجانب الروحي في الإنسان هو الذي يأخذ بيده ليمسح عن جبينه آثار المادة، ولينفض عن كاهله أثقالها وأحمالها، ويمزق قيودها ويحطم أغلالها التي تسوقه إلى التدني والانحلال والشرك بكل أشكاله

• ضبط الروح على نسق الفطرة النقية بتوحيد قصدها وتعلقها بربها :

(١) الله والإنسان ، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربي ، د.ت) ص ٦ .

(٢) البقرة ١٣٠-١٣٣ .

(٣) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، (ط. دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠٢ م) ٣٨٢/٢ .

(٤) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط ، ص ٤٣٢ ، مرجع سابق .

يتجلى ضبط روح المسلم على منوال فطرته السليمة بثباتها على الإيمان وصيانتها من الانحراف من خلال المعرفة بالله تعالى وتوحيده ، وفي حكاية القرآن عن حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه حين تبرأ من شركهم ؛ ملمح روحي عميق يبني في شخصية المسلم شعورا فطريا بالتوحيد يتناغم مع عقيدته على نسق قول إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) .

وفي تدبر تبرؤ إبراهيم عليه السلام من الشرك في الآية عروج بشخصيتنا إلى الأفق الأعلى لعقيدتنا الإسلامية والتمسك بتوحيد الله تعالى الذي هو الوجه الأكمل لأدابنا، والشعلة المتوهجة في قلوبنا، والمعراج الذي نصعد به إلى سيادتنا على تلك المادة المسعورة التي تريد أن تجعل من نفسها غاية للوجود ونهاية للآمال وسبيلا إلى الشرك بمدفاعة الفطر نحو الأهواء حتى عبدتها، وقد قال الله في ذلك:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وإمكان ضبط روحيتنا على فطرة التوحيد والثبات عليه يستقى من معنى قوله تعالى :

" ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ " ؛ أي وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا إله إلا الله ، كلمة باقية في عقبه أي في ذريته ، فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو إلى توحيد " (٣) .

وهو تعبير قرآني يستهدف المعنى الحقيقي في الإنسان والغاية المثلى التي تبرزه على غيره من المخلوقات بالتكليف ، على أساس ارتباطه بخالقه توحيدا وتنزيها وإجلالا ، وذلك جوهر الإسلام وأفقه الأعلى ، ومنبع أخلاق دعوة الأنبياء والمرسلين، وروح الكتاب المبين، وفطرة التوحيد في المسلم هي الصانعة للعزائم والهمم نحو الإيمان بالله تعالى ، وهي الدرع الحصين الذي يصون عقائدنا، ويحول بيننا وبين أهوائنا وشهواتنا، إذ بها تغرس في قلوبنا المثل العليا التي تُعدُّ معراجاً ربانياً، ومنهجاً إنسانياً يصنع الإنسان الكامل، ويصوغ المؤمن القوى الزاهد التقى، وإذا تحققت مطالب الفطرة السليمة في شخصية المسلم على النسق الإبراهيمي في القرآن ؛ تحرر من كل عبودية إلا من عبوديته لفاطر السماوات والأرض .

وهذا ما أمر الله به في القرآن حين قال ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (١) ، وهذه الآية لها صلة مباشرة بإبراهيم في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ

(١) سورة : ٢٦ - ٢٨ .

(٢) سورة الزخرف : ٢٨ .

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي (ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت ، طبعة أولى ، ١٤٢٠ هـ) ج ٤ ، ص ١٥٧ .

أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴿٢﴾ "فالمعنى: فأقم وجهك للدين والمؤمنون معك، وإقامة الوجه: تقويمه وتعديله باتجاهه قبالة نظره غير ملتفت يمينا ولا شمالا. وهو تمثيل لحالة الإقبال على الشيء والتمحض للشغل به بحال قصر النظر إلى صوب قبالته غير ملتفت يمنة ولا يسرة، وهذا كقوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ (٤)، أي أعطيته لله، وذلك معنى التمحيص لعبادة الله وأن لا يلتفت إلى معبود غيره، والدين هو دين الإسلام، و حَنِيفًا خلوه من شوائب الشرك، كما كان في وصف إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (٥)، وحنيف: صيغة مبالغة في الاتصاف بالحنف وهو الميل، وغلب استعمال هذا الوصف في الميل عن الباطل، أي العدول عنه بالتوجه إلى الحق، أي عادلا ومنقطعا عن الشرك كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦)، و (فَطَرَتِ اللَّهُ) أي الدين الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة" (٧)

ومتابعة هذه الآيات وصلتها ببعضها يصل المسلم لقاعدة تنطلق منها عقيدته على أساس الفطرة النقية بعيدا عن الشرك واتباع الهوى .

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران: ٢٠

(٣) سورة الأنعام: ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران: ٢٠ .

(٥) سورة النحل: ١٢٠ .

(٦) سورة البقرة: ١٣٥ .

(٧) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ، (ط.مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ج ٢١ ، ص ٤٧ .

المبحث الثاني

أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

في ربط الميل القلبي بالله تعالى

إن في قصص إبراهيم عليه السلام رسالة لصاحب القلب الحائر، وإلى من يشتكي من القلق والحيرة، وإلى الباحث عن الأمان والطمأنينة، وتحقيق بهذا القلب وحرّي به أن يطمئن بشارات وعبارات هذا القصص، فله قوة حاکمة في محركات القلوب التي هي مدار تحريك الشخصية نحو رها، وقبل بيان ذلك نعرف بالقلب، وذلك في التالي:

● مفهوم القلب:

القلب هو: " لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان" ^(١)، والخطاب القرآني في ذكره للقلب لم يرد ذلك الجزء العضوي المودع في الجانب الأيسر، ولكنه يرمي إلى أحواله، ويطلق القلب في القرآن " اسما لشيء معنوي وهو النفس الإنسانية التي تعقل وتدرك وتفقه، وتؤمن وتكفر، وتتقي وترغب وتطمئن، وتلين وتقسو وتخشى وتحاف، وقد نسبت إليه كل هذه المعاني في القرآن، والأصل في هذا أن أسماء الأشياء المعنوية مأخوذة من أسماء الأشياء الحسية، وقد أطلق على الشيء الذي يحيا به الإنسان ويدرك العقلية والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء، عدة أسماء منها القلب، فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة؛ لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها" ^(٢)، وهذا ما ترنو إليه بغيتنا من معنى القلب.

● قيمة القلب في بناء عقيدة المسلم وتكوين شخصيته:

إن القلب هو مركز بناء شخصية المسلم الذي عليه مدار معرفة حقيقته في الوجود الكوني وغاية وجوده، ويحدد من خلاله منهج حياته، فهو مستقر ومستودع هذا المنهج، وقد " ذكر الله تعالى القلوب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة- في اثنين وثلاثين ومائة موضع، في ثلاث وأربعين سورة، في أربع وعشرين ومائة آية منها" ^(٣)، كلها تتصل بالتدبر والاعتبار والخشوع والفقه، فللتدبر منفذ للقلب السليم؛ يصل إليه ويرقى به، والقلب هو المعول عليه للتدبر، فإذا أغلق عليه حجب عن التدبر، قال

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي - بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٥ هـ) ص ٢٢٩.

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ط. دار ابن كثير - دمشق - بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥ هـ) ج ٧، ص ٥٩٨.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب)، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م)، ص ٥٤٩-٥٥١.

تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ^(١) والأقفال على القلوب من أعظم موانع التدبر ، فمن قرأ القرآن ، ولم يجد في قلبه إقبالاً على الطاعة ، فليعلم أن على قلبه أقفالاً ورانا ، ولينفقد نفسه ، وليراجع واقعه ، ولينفكر ما هي الأقفال التي حالت بينه وبين تدبر القرآن والعمل بما فيه .

بخلاف القلوب السليمة فهي تنفتح على نور الذكر وتأوي إليه وتطمئن به وتزداد به إيماناً ، ولها هيمنة على كل عناصر الكينونة الإنسانية، تلي كل حاجاتها على مفهومها الإنساني ، وتتعامل مع كل مقوماتها على دعائمها المنضبطة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ، فالحاكمة على سائر الجوارح مبدؤها القلب ، وكينونة الشخصية وتراكيبها محكومة به ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ^(٢)، إذن فالقلب هو المضغعة التي إذا صلحت صلح الجسد كله ، قال النبي ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) ^(٣).

والحديث " فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، بحسب صلاح حركة قلبه ، فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات ، وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع هواه، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشبهات بحسب إتياع هوى القلب" ^(٤).

وبتدبر مخاطبات إبراهيم عليه السلام في القرآن يجد القارئ رسائل مباشرة تكوّن القلب وتزيد في إيمانه ويقينه في توحيد الله تعالى ، فهذا الجوهر أو الكيان الإنساني هو الجامع لكل الأوصاف والخصائص، والمميزات والصفات والقدرات المعنوية التي تحكم وجهة الإنسان ، والآيات التي تدل على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(٥) وقوله أيضاً:

(١) سورة محمد: ٢٤ .

(٢) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت) ج ٤ ، ص ١٩٨٧ .

(٣) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، ج ٣ ، ص ١٣١٩ .

(٤) جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. خامسة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٥) سورة الحج : ٤٦ .

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾^(١)، فالمطمئن حقيقة ليس هو عضو القلب، وإنما الحال فيه أو المتعلق به ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(٢) ، وفي ظلال تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن ؛ تنبعث في شخصية المسلم لذة الذوق الإيماني وهي على غرار ما رواه العباس بن عبد المطلب، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

" ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا " ^(٣) وبهذا الذوق القلبي المستمد مباشرة من القرآن، تتكيف شخصية المسلم تكيفا فريدا يمنحها الصلاحية لقيادة البشرية قيادة فريدة ، لم تعرف لها البشرية - من قبل ولا من بعد- نظيراً - سواء في عالم الإنسانية والشعور، أو في عالم الواقع والحضارة - وقصص القرآن على النسق الإبراهيمي وغيره بما فيه من تكوين عقدي دقيق هو المرجع الأول لتلك الشخصية الفريدة ، وهذا ما سنعرض له في التالي :

أولاً: تكوين السلامة القلبية من واقع حرص إبراهيم عليه السلام :

تتجلى مواقع تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في خلال إدراك مدلولاتها وإيجائها ، وليس فقط في فهم ألفاظها وعباراتها، ونبي الله إبراهيم عليه السلام يعول بسلامة القلب للوصول إلى بر الأمان ويمنح استعداد النفس رصيذاً من المشاعر والمدركات والمواجد والتجارب التي توقد مجامر القلوب بالسلامة اقتداءً واقتفاءً ، وحين يتدبر المسلم عمق مؤهلات القلب السليم في منطق إبراهيم عليه السلام يشعر كأنه يتلقاه من فيه في خضم المعتزك ؛ معتزك جهاد النفس وجهاد الشهوات وهو يتقلب بين الخوف والرجاء ، والضعف والقوة ، والعترة والنهوض ، وقد حكى القرآن عن إبراهيم عليه السلام دعاءه حين قال :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لِأبي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ وُتْرَتِ الْجَحِيمِ لِلْغَاوِينَ وَقِيلَ لَهُمْ أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴾^(٤) و" أظهر ما قيل في القلب السليم : أنه السالم من الشكوك والأوهام ، والخواطر الرديئة ، ومن الأمراض القلبية " ^(٥).

(١) سورة الرعد : ٢٨ .

(٢) سورة الحج : ٣٥ .

(٣) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، (ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت) ج ١ ، ص ٦٢ .

(٤) سورة الشعراء : ٨٣ / ٨٩ .

(٥) البحر المديد ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، (دار الكتب العلمية . بيروت ، طبعة ثانية / ٢٠٠٢ م .

١٤٢٣ هـ) ج ٥ ، ص ٢٦٥ .

وقوله تعالى " بقلب سليم " (فيه خمسة أوجه :

أحدها : سليم من الشك .

الثاني : سليم من الشرك .

الثالث : من المعاصي ، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح .

الرابع : أنه الخالص .

الخامس : أنه الناصح في خلقه .

ويحتمل سادساً : سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرى عند المعاينة " (١).

وفي الآيات يشير إبراهيم عليه السلام إلى أن آلة التحكم في جسد الإنسان وركيزة الأمان فيه تكمن في سلامة قلبه ، فهو آلة تحريك الهمم والطاقات والقوى المستوطنة داخل الفرد نحو تطبيقات العقيدة على واقع حياته ، قوى تؤثر في واقع الضمير والوجدان وتنعكس على قدرة الإنسان في التعبير عن مواهبه وإبداعاته العقلية والعملية ، فعندما يكون ذلك الإنسان على درجة من الإيمان بمبادئ الخير والصلاح يكون على استعداد للتعبير عن ذلك الإيمان بمختلف الطرق والوسائل بما في ذلك التضحية والاستشهاد من أجلها، وإذا لم يرض الفرد مطالب ضميره، عاش عذاب تأنيب الضمير .

" وبطبيعة الحال تبدو على الشخص السوي صاحب الضمير اليقظ فاعلية عمله وإتقانه فيه ، وحسن الأداء، والشعور بالمسئولية الأدبية نحو نفسه وأسرته ومجتمعه ، وهو يرى في أدائه لعمله بمهارة وإتقان تعبيراً صادقاً عن طموحه في التقدم والرقى والكمال النفسي، وعن رغبته الصادقة في القيام بدور فعال في خدمة المجتمع والإسهام بإخلاص في نموه وتقدمه " (٢) .

ولا ينبغي لصاحب طلبة السلامة القلبية أن يكتفي بمجرد التماس حقائق مضامين مقال إبراهيم كمجرد معرفة ثقافية ، بل يجب عليه أن يستجيش قلبه بالذوق الإيماني لتحقيق غاية وجوده الإنساني، كما يرسمها التوجيه الرباني ، فهو السبيل الوحيد لرجوع القلوب لربها ، وإذا رجعت سلمت وانصلحت ، وبدت عزائمها ، وعبرت الأعضاء عن مرادها وبغيتها ، ف: " القلب هو الأصل الجامع للأعضاء، وهو كالمملك وجميع الأعضاء تبع له، وإذا رأيت عضواً فاسداً فاعلم أن سبب فساده خلل في القلب فينبغي إصلاحه، ولهذا المعنى كان صلاح القلب أشد أنواع الجهاد، ويؤيد هذا القول قول النبي ﷺ:

"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد ك له ألا وهي

(١) تفسير الماوردي (النكت والعيون) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، تحقيق : السيد بن

عبد المقصود بن عبد الرحيم ، (ط.دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ، د.ت) ج ٤ ، ص ١٧٦ .

(٢) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط.دار الشروق، طبعة أولى، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص ٢٩٨، مرجع

القلب" (١) ، ولم لا..؟! و" عماد ملة إبراهيم ﷺ هو المتفرع عن قوله: "بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" وذلك جماع مكارم الأخلاق" (٢).

وقد استحباب الله لإبراهيم ﷺ ، قال تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٣). والآيات " تخلص إلى حكاية موقف إبراهيم ﷺ من قومه في دعوتهم إلى التوحيد وما لاقاه منهم وكيف أيدته الله ونجاه ، وقع هذا التخلص إليه بوصفه من شيعة نوح ﷺ ليفيد بهذا الأسلوب الواحد تأكيد الشاء على نوح ﷺ ، وابتداء الثناء على إبراهيم ﷺ ، وتخليد منقبة لنوح ﷺ إن كان إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به ، وكذلك جمع محامد إبراهيم ﷺ في كلمة كونه من شيعة نوح ﷺ المقتضي مشاركته له في صفاته ، وكان إبراهيم ﷺ من ذرية نوح ﷺ ، وكان دينه موافقا لدين نوح ﷺ في أصله وهو نبذ الشرك " (٤).

فقد قامت دعوة كلا النبيين إلى التوحيد ، فدعوة نوح تجلت في وسط وثنى صنمي ، وكانت ملامح دعوة إبراهيم ﷺ مع دعوة نوح ﷺ حيث نفس الجو المشحون بالأساطير الوثنية ، فانطلقت دعوتهما لتكسر أوثان الشرك ، وتدعو إلى الطهر ونبذ الخرافة على أساس "التوحيد" المطلق العميق التجريد . وهذه هي الحقيقة المسلمة الباقية ، التي تجعل لتصور الواقع العقدي السليم بقيمته الفريدة في بناء سلامة القلب على نزاهة الإيمان ، ونقض خرافة الشرك بمعاول التوحيد أساسا رصينا في بناء بنيان العقل .

ثانيا : تكوين اليقين القلبي في الله تعالى من خلال تيقن إبراهيم ﷺ :

يستدعي قصص إبراهيم أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة ، وأن نستحضر اليقين في شخصيتنا استحضارا طبيعيا لا تكلف فيه ولا عناء ، فالجو الملبد بغيوم سطوة الباطل الذي زاحم دعوة إبراهيم ، والملابسات الاعتقادية والاجتماعية التي كان القوم يتخبطون فيها وقت أن جاءهم الهدى ، ثم التيه الذي أسهبوا فيه بعد تمسكهم بانحرافهم وعدائهم للحق ، كل ذلك يدعوننا إلى التدبر ، سيما في وقت تحتاج فيه القلوب لذلك بشغف في ظل تحديات التشكيك التي تهوي بشخصية المسلم من منفذ عقيدته في

(١) جزء من حديث أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لك ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب، انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٢، (ط. مكتبة الغراء الأثرية، طبعة أولى، سنة ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م) ٢٢٤/١.

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان ، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ج ٢٣ ، ص ٥٢ .

(٣) سورة الشعراء : ٨٩ .

(٤) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ج ٢٣ ، ص ٥١ .

مكان سحيق إن لم يحصن نفسه ، وتدفعه إلى حافة الهاوية ، وتلقي به في موضع التهديد بالإفلاس المعلق على رأسه، وأي إفلاس ؟ !!! إنه إفلاس في عالم الإيمان يعطل نمو الشخصية المسلمة نموًا سليمًا ويمنعها من أن تترقى ترفيًا صحيحًا يمكن للفرد أن يقنع ضميره من خلاله باستحقاقه للوجود ، ومن محصلات تدبر قصص إبراهيم عليه السلام على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١. **اليقين في البعث** : يأتي دور تدبر آيات حوار إبراهيم عليه السلام مع ربه في أمر البعث في أشد الساعات حرجًا في القلب وأشدّها حيرة واضطرابًا ، بل في مفرق الطريق بين الشك واليقين ، ليقتنعه بتجربة تكون لديه تصورًا ينبثق من حناياه ، ويتفاعل مع مشاعره ليصل به إلى اليقين في البعث فيحط رحاله عنده ، وهذا اليقين هو الوشيحة الحية بين الإنسان ووجوده وآخرفته أو بين الإنسان وخالق الوجود ، وقد ضمن الله هذه الحقائق في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمَنُ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّ يَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

إن الآيات تشير إلى قلب إبراهيم عليه السلام الذي جاش باليقين والإيمان ، حين راح يناجي ربه وينفث زفرات قلبه ليعاين حقيقة يؤمن بها فتحقق مراده فأرضاه ربه ، وكانت المعاينة التي سرى بها نور اليقين في الوجود خالدا خلود القرآن ، ويحكي القرآن ذلك عن إبراهيم عليه السلام حين قال طلبته : " رب أرني كيف تحيي الموتى " ، " ويلاحظ تأدب إبراهيم عليه السلام مع مولاه تأدبا يليق به ، حيث بدأ سؤاله ب (رب) الذي يشعر بالاعتناء والتربية لخلقته ، قال - تعالى - له وهو أعلم به : ألم يوح إليك أولم تؤمن بذلك ؟ قال إبراهيم عليه السلام مجيبا : يا رب قد أوحيت إليّ وأمنت بذلك ، ولكن تآقت نفسي وتطلعت لأن تقف على كيفية الإحياء للموتى ليطمئن قلبي بمشاهدة العيان مع الوثوق والإيمان ، ولا غرابة في ذلك فكلنا يؤمن بالأثير وعمله في نقل الأخبار والصور ، وكثير منا لا يعرف كيفية ذلك وتتوق نفسه للمعرفة ، وفي رد الله عليه بقوله : (أو لم تؤمن ؟) إشارة إلى أن الإنسان لا يكلف بأكثر من الإيمان بأخبار الغيب الصادرة عن المولى - جل شأنه - في ذاته وصفاته ويوم القيامة وغيره ، قال تعالى : فخذ يا إبراهيم أربعة من الطير وقطعهن قطعا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك ساعيات كما كانت ، وهكذا يجي الله الموتى ، واعلم أن الله عزيز حكيم " (٢) ..

وقد اختلف العلماء في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام ربه ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وهو على قولين : " أحدهما : أنه رأى جيفة تمزقها السباع فقال ذلك ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، والضحاك .

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٢) التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي ، (ط . دار الجيل الجديد ، د . ت) ج ١ ، ص ١٧٥ .

والثاني : لمنزعة النمرود له في الإحياء ، قاله ابن إسحاق ، ولأبي الأمرين كان ، فإنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن علم الاستدلال "(١).

وأما سؤال الله لإبراهيم عليه السلام : (أَوْ لَمْ تُؤْمِنِ ؟) وجواب إبراهيم بقوله (بَلَىٰ وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) "ففيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني ليزداد يقيناً إلى يقينه ، هكذا قال الحسن ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والربيع ، ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك ، لأن الشك في ذلك كفر لا يجوز على نبي .

والثاني: أراد ليطمئن قلبي أنك أجبت مسألتني ، واتخذتني خليلاً كما وعدتني، وهذا قول ابن السائب.

والثالث : أنه لم يرد رؤية القلب ، وإنما أراد رؤية العين "(٢).

وأيا كان الأمر .. فالمهم أن الحسم القرآني جاء لينشئ تصورات يقينية صحيحة في أمر البعث وإمكانه عقلا ، بعيدا عن تصورات البشر المجردة القاحلة ، وهذه الرعاية من الله لإبراهيم والاستجابة لطلبته ليست موقوته ، بل هي رعاية للبشرية كلها ، رعاية تنتشلها من الحيرة والشك ، رعاية تفرغ القلوب والعقول من كل غبش مزعج دخيل ، ليقوم تصورها نقيا صافيا نظيفا من رواسب الجاهليات على طول امتدادها في عقد التاريخ وتجدد أيامه وسنينه ، تصورا يقينيا حقيقا بالحقائق الغيبية ، مستمداً من وحي الله وحده ، لا من اجتهاد وظنون البشر ونتاج عقولهم الذي لا يغني من الحق شيئاً .

٢ . اليقين في دفاع الله عن المؤمنين ونصر الله لهم : ما أحوج الشخصية المسلمة عند ملاقاته المحن والأزمات إلى اليقين في نصر الله ونصفتة الحق ، بعيدا عن الانفعالات التي هي " أظهر الحالات النفسية التي يتجلى فيها الوجدان، كالخوف والفرح، والحزن والقلق، والأسف والندم، والحقد والحسد، والأمل والضجر " (٣).

وإبراهيم عليه السلام بعقيدته الصحيحة وبنواياها اليقينية كان مثالا في ضبط الانفعالات حين واجه أمواج الاضطهاد العاتية من قبل عباد الوثن حين واجههم بالحقيقة وكشف زيغهم وضلالهم ببيان خصائص الألوهية، وإبطال اشتراك ما عدا الله ومن عداه في العبودية ، وتجريدهم من خصائص الألوهية ، ومقتضى هذا معناه أنه لم يتوجه بالخضوع والتوكل إلا على الله ، توحيداً لسلطانه الذي هو أخص خصائص الألوهية ، والذي لا ينازع الله فيه مؤمن، ولا يجترئ عليه إلا كافر، ومن هنا تمسك إبراهيم

(١) تفسير الماوردى .. النكت والعيون ، الماوردى ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - د. ت) ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٣٤ .

(٣) الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفي، تقديم: محمد عبد الله السمان، تحرير: محمد صديق المنشاوي، ص ١٢١، طبعة دار الفضيلة، بدون تاريخ .

عليه السلام بتوحيد ربه ، ولم يبال بتهديد قومه ، وصابر في مواجهة تنكيلهم به ، لأنه على يقين في أن الله سيدافع عنه دفاعه الذي وعد به المؤمنين .

قَالَ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : **﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** ^(١) ، **﴿فَلَمَّا أَفْحَمَهُمْ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ لَجُّوا إِلَى الْقُوَّةِ ، قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾** ^(٢) وتلك عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم ، كلما أفحموا بالحجة القاطعة لجئوا إلى استعمال القوة ، ولكن الله أنجى إبراهيم من النار ، وكذا ينجي من يدافع عنه ، وقوله " (أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله) " معناه "قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع ، وقوله (أفلا تعقلون) أي : قبح عبادتها وباطل تأليها ويرجماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر" ^(٣)

وفي قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾** ^(٤) ، " ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - أَنَّ نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا أَفْحَمَ قَوْمَهُ الْكُفْرَةَ بِالْبِرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ لَجُّوا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ ، فَقَالُوا : **﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾** أي : بِقَتْلِكُمْ عَدُوَّهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرَّ قِتْلَةٍ ، وَهِيَ الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ ، وَلَمْ يَذْكَرْ هُنَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا قِتْلَهُ بِغَيْرِ التَّحْرِيقِ ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي سُورَةِ "الْعَنْكَبُوتِ" أَنَّهُمْ قَالُوا : (اِقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾** ^(٥) وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِأَنَّ الْمُبْطِلَ إِذَا أُفْحِمَ بِالِدَّلِيلِ لَجَّ إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ لِيَسْتَعْمِلَهَا ضِدَّ الْحَقِّ " ^(٦) .

ورغم ما عاناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من أعتى صور التنكيل إلا أنه صمد وثبت لأنه على الحق ، وذلك يرسم في شخصية المسلم تكويناً فريداً من الثبات عند المحن وثوقاً في نصر الله تعالى ، وهذا ما دفع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عدم الخنوع لأهل الكفر " حيث أصر على موقف الهدى الذي هداه الله إليه ، وعلى عبادة الله الواحد الذي هداه إلى حقيقة الإيمان ، عند لجوئهم إلى تخويفه بانتقام الآلهة من تجديفه في حقها وكفره بها ، وتوعدهم بأن هذه الآلهة المزعومة ستناله بالأذى لا محالة ، وحينها ردّ عليهم في اطمئنان الواثق :

(١) سورة الأنبياء: آية ٦٧ .

(٢) سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر ، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،. خامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٤) سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٥) سورة العنكبوت : آية ٢٤ .

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) ج ٤ ، ص ١٦٢ .

(وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ) ولكنه من أدبه مع ربه لم يقطع بأمر هو بعد في طيات الغيب ، فقد يكون الله سبحانه وتعالى قد قدر له أن يصيبه شيء من الأذى فيقول : ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ثم يعود إليهم فيجابههم بحقيقة موقفهم : كيف تخوفوني بتلك الآلهة المزعومة التي تشركون بها ، وهي عديمة السلطان لا تملك ضرباً ولا نفعاً ، ولا تخافون أنتم من الله الحق الذي يملك الضر والنفع ، وأنتم تشركون به وتعصون أمره؟! فأيتنا أحق بالأمن؟ الذي يلجأ إلى الإله الحق ويدخل في حماه ، أم الذي يحتمي بغير حمى سوى الأوهام؟ " (١).

وجاء نصر الله له ليثبت دفاعه عن أنصاره ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٢) ، ولا شك أن ذلك يؤسس في شخصية المسلم رسوخ اليقين في دفاع الله عن عباده المؤمنين ، " وقد أظهر الله معجزة لإبراهيم عليه السلام إذ وجه إلى النار تعلق الإرادة بسلب قوة الإحراق، وأن تكون برداً وسلاماً إن كان الكلام على الحقيقة، أو أزال عن مزاج إبراهيم عليه السلام لتأثر بجملة النار إن كان الكلام على التشبيه البليغ، أي كوني كبرد في عدم تحريق الملقى فيك ، وأما كونها سلاماً فهو حقيقة لا محالة، وذكر (سلاماً) بعد ذكر البرد كالأحتراس لأن البرد مؤذ بدوامه ربما إذا اشتد، فعقب ذكره بذكر السلام لذلك، وعن ابن عباس: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها ، وإنما ذكر (برداً) ثم أتبع بـ (سلاماً) ولم يقتصر على (برداً) لإظهار عجيب صنع القدرة إذ صير النار برداً، و(على إبراهيم) يتنازعه (برداً وسلاماً) ، وهو أشد مبالغة في حصول نفعهما له " (٣).

ويأتي بناء اليقين في شخصية المسلم من هذه الخلال التي دلت على تحقيق ما وعد الله به من دفاعه عن أوليائه ، وذلك في قوله ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (٤) ، " وتسمية عزمهم على إحراقه كيدا ؛ يقتضي أنهم دبروا ذلك خفية منه، ولعل قصدهم من ذلك أن لا يفر من البلد فلا يتم الانتصار لأهنتهم ، والأخسر: مبالغة في الخاسر، وهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة ، وكأن خسارتهم لا تدانيها خسارة ، وكأنهم انفرادوا بوصف الأخسر فلا يصدق هذا الوصف على غيرهم ، والمراد بالخسارة : الخيبة ، وسميت خيبتهم خسارة على طريقة الاستعارة تشبيهاً لخبية قصدهم إحراقه بخيبة التاجر في تجارته، كما دل عليه قوله تعالى: "وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا" ، أي فخابوا خيبة عظيمة، وذلك أن خيبتهم في سلامة إبراهيم من أثر عقابهم وإن صار ما أعدوه للعقاب معجزة وتأييداً لإبراهيم عليه السلام ، وأما شدة

(١) زكائز الإيمان ، محمد قطب ، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ص ٢٧٧ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان ، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م) ج ١٧ ، ص ٧٧ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٧٠ .

الخسارة التي اقتضاها اسم التفضيل فهي بما لحقهم عقب ذلك من العذاب إذ سلط الله عليهم عذابا كما دل عليه قوله تعالى: في سورة الحج ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (١) وقد عد فيهم قوم إبراهيم " (٢).

إذن إبراهيم كان في عناية ربه ، والله يدخل في عنايته من آمن به ، فهو القائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٣) وما حدث مع إبراهيم عليه السلام تجربة واقعية عملية تزيل وهم الواهيمين في عدم نفاذ دفاع الله عن عباده الصادقين ، وجاء التعبير بقوله (يُدَافِعُ) بصيغة المفاعلة ، للمبالغة في الدفاع والدفع ، فالله - تعالى - بفضله وكرمه يدافع عن المؤمنين أعداءهم وخصومه ، فيرد كيدهم في نحورهم ، وقوله " إن الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم " (٤) .

ويبدو تقويم شخصية المسلم في موقف إبراهيم عليه السلام الحالم وردة فعله الهادئة الحانية ، فعلى الرغم من تهديدهم إياه بالقتل والإحراق إلا أنه صمد على الحمق ولم يفعل أو يغضب ، وذلك يلفت ناظر المسلم ليكون شخصيته على عدم امتلاك الانفعالات له وامتلاكه لها وتحكمه فيها، وعدم تحكمها فيه ، وذلك يسوق يقينا إلى الأمن النفسي طالما سلم ورضي بقسم الله ، وإذا تحقق ذلك " يستشعر الفرد سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا، وقناعة العبد بكل شيء، واغتباطه بقسمة ربه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلام العبد للمولى في كل شيء ورضاه بأدنى شيء، وتسليمه له الأحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيها " (٥)، وكل ذلك حاصل في واقع ما آل إليه من كيد الكافرين لإبراهيم عليه السلام ونجاته بإذن ربه ، وهو يعكس في شخصية المسلم إن اقتفى أثره تكامل الشخصية ، ويصحب ذلك علامات تكوينية تبدو في ملامح شخصيته منها:

" ١ . النضج الانفعالي، ويقصد به: اعتماد الفرد على نفسه، وثقته بها، مما يجعله واقعياً في مواجهة مشاكل الحياة .

٢ . قدرة الفرد على الثبات والصمود حيال الأزمات والشدائد، وذلك يعني تحكم الفرد في انفعالاته واتزان نفسيته، وذلك عين التنمية للشخصية .

(١) سورة الحج : ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١٧ ، ص ٧٨ .

(٣) سورة الحج : ٣٨ .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل (ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د. ت) ج ١٧ ، ص ١٦١ .

(٥) قوت القلوب في معاملة المحبوب ، أبو طالب المكي، (طبعة الباني الحلبي، سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٧م) ج ٢ ص ٧٩ . ٨٠ .

٣ . شعور الفرد بالسعادة والطمأنينة وراحة البال، وانسياب حياته النفسية، وقلة الشعور بالإحباط .
 ٤ . قدرة الفرد على تبنى مقاييس من القيم والمثل العليا، وترجمتها إلى خطة عملية تعينه على مواجهة مشكلاته " (١) تلك مواد البناء هي أبرز الثمار التي يحصلها المسلم في شخصيته من خلال تدبر واقتفاء صمود إبراهيم وثباته على الحق .

ثالثا : موقف إبراهيم عليه السلام مع الذبيح إسماعيل عليه السلام وأثره في تكوين التسليم القلبي لله تعالى :

لا بد من مؤهل لقيادة القلب عند ابتلائه ، ولن يكون هذا المؤهل سوى " العقيدة " التي تسمح له بأن يحتفظ بدعائمه تحت إشراف تسليم وجهته لله وحده ، ولا أدل على ذلك من اختبار الله لإبراهيم وولده الوحيد إسماعيل عليه السلام ، وإلينا البيان في حكاية القرآن ، قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢﴾ وهو قمة التلطف في البلاغ لولده، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة.

والأمر مقضي في نظر إبراهيم عليه السلام لأنه وحي من ربه ، وفي قول إبراهيم عليه السلام لولده (فانظر ماذا ترى) "ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قاله إخباراً بما أمره الله تعالى به ليكون أطوع له .

الثاني : أنه قاله امتحاناً لصبره على أمر الله تعالى .

الثالث : أي ماذا تريبي من صبرك أو جزعك ، قال يا أبت افْعَلْ ما تُؤْمُرُ ، فوجده في الامتحان صادق الطاعة سريع الإجابة قوي الدين ، فلما أسلما أي : سلما لله تعالى الأمر ، قال قتادة : سلم إبراهيم نفسه لله ، وسلم إبراهيم ابنه لله تعالى ، وقوله : (وتله للجبين) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه صرعه على جبينه ، قاله ابن عباس ، والجبين ما عن يمين الجبهة وشمالها .

الثاني : أنه أكبّه لوجهه .

الثالث : أنه وضع جبينه على تل ، وحكى مجاهد عن إسحاق أنه قال : يا أبت اذبحني وأنا ساجد ، ولا تنظر إلى وجهي فعسى أن ترحمني فلا تذبحني ، "ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا" أي عملت ما رأيته في المنام " (٣) .

(١) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (طبعة أولى، دار الشروق، سنة ١٤٠٩هـ) ص ٢٧٣ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٠ / ١٠٨ .

(٣) تفسير الماوردى ..النكت والعيون ، الماوردى ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق : السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم ، ٦٠/٥ .

أي ابتلاء هذا؟! إنه ابتلاء لأب في ولده ووحيده الذي رزقه على الكبر ، ابتلاء جدير بقول الله عز وجل عنه " إن هذا هو البلاء المبين " "يعني الاختبار البين ، ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله :

"وفديناه بذبح عظيم" يعني بكبش عظيم والذبح بكسر الهمزة والفتح وبالنصب مصدر^(١).
وتلك نتيجة حتمية لصدق التسليم المطلق لله تعالى ، فالتسليم لله من أصول الاعتقاد ، فهو " الجذر الأول في بناء شخصية المسلم ، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه ، والموجه لإرادته ، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه ، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد ، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه ، وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم والمفسدة ، العاجل من كل ذلك والآجل ، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة ، العاجل من كل ذلك والآجل ، وهذا ما يطلبه منا الإسلام ، وقد أدرك حديثاً الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان ، فبدؤوا يتحدثون عنها تحت عنوان : (أيدولوجيات) ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام ، إذ هو يبني في الفرد المسلم إيماناً لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي (أيدولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من أفرادهم" (٢).

إن مشهد إبراهيم عليه السلام مع ولده الوحيد يربي في شخصيتنا أسمى درجات التسليم القلبي لله ولأوامره، وبإسقاط تسليم إبراهيم عليه السلام لأمر ربه وتتابع قصته ؛ يرسخ في القلب تجريد مطلق عن كل شيء سوى الله تعالى وطاعته ، وهو ما يأخذ بالشخصية إلى المثالية والكفاءة العليا والنجاة والقوة والنصر .

• ثمرة تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في تهيئة اتصال القلب بالله :

يتكون في شخصية المسلم من خلال الاعتبار بمدار ما جاء في قصص إبراهيم عليه السلام من مؤثرات في حركة القلب وسكونه وتقلبه بين منازل الاتصال بالله تعالى عدة محركات قلبيه قال عنها الشيخ ابن تيمية رحمه الله :

" اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة : المحبة، والخوف، والرجاء . وأقواها المحبة، وهي مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة، قال الله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٣) ، والخوف المقصود منه : الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف

(١) بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق: محمود مطرجي ، (ط . دار الفكر - بيروت) ج ٢ ، ص ١٤١ .

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، (ط . دار القلم . دمشق ، ط . ثانية ، ١٩٧٩ م ص ٣٤ .

(٣) سورة يونس : ٦٢ .

يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره" (١) .

هذا غيظ من فيض مما ينسج قلب المؤمن على وشائج الإيمان من خلال تذاكر مواقف إبراهيم وأحواله التي مر بها بين القبض حيناً والبسط أحياناً كثيرة .

(١) مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار (ط. دار الوفاء ، طبعة
ثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ج ١ ، ص ٩٥ .

المبحث الثالث

أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى

إن في قصص إبراهيم عليه السلام عبرة للعقل ، ومن اعتباره تنضبط كينونة الشخصية المسلمة بكل جوانبها وتوجهاتها ، وبكل أشواقها ورغباتها، وبكل حاجاتها ومطالبها، ، فاعتبار العقل يردّها إلى جهة واحدة تتعامل معها، جهة واحدة تأوي إليها في كل شيء، جهة واحدة ترجوها وتخنع إليها وتخضع لها وتخشاها، وتتقي غضبها وتبغى رحمتها وترجو رضاها ، جهة واحدة تملك لها كل شيء، جهة نزيهة مفادها التوحيد والتنزيه والجلال والجمال ،وجهة الله العلي الكبير ، وفي قصص إبراهيم عليه السلام فيض من الجمل والعبارات التي توجه العقل نحو تنزيه الله تعالى ، والتي من خلالها يستلهم الباحثون والمفكرون والعلماء حجم المكانة التي نالها العقل من بين سائر أعضاء الإنسان، ونظرة القرآن الشاملة من خلال هذا القصص لعمل العقل، وحثه على النظر والتأمل، والفكر والتفكير، وإطلاق العنان له في ربوع المعرفة والعلم وفق ضوابط ومحددات ذكرها القرآن في ثنايا ما جاء في واردات إبراهيم وحواراته مع قومه ، وأوضحها بالحجة في المسائل والدلائل التشريعية الضخمة التي لا ينكرها عاقل ، وقبل الخوض في غمار مدارات ضبط توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى ، يجدر بنا أن نعرف بالعقل كتقدمة ينسجم من خلالها السياق :

• تطواف حول مفهوم العقل في القرآن :

بالنظر إلى المعاني اللغوية المستمدة من القرآن الكريم نجد أن مادة "عقل" وردت تحمل العديد من المعاني ، منها : الـ"عقل) هو الحابس عن ذميمة القول والفعل" ^(١) ، و" العقل: نقيض الجهل : يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله ، وجمعه عقول ، ورجل عاقل وقوم عقلاء ، وعاقلون ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل" ^(٢) ، والعقل :الحجر والنهي، وهو ضد الحمق والجمع عقول " ^(٣) .

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة:

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ج٤، ص٦٩٩.

(٢) نفس المصدر ، ج٤، ص٦٩٩.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى) ج١١، ص٤٥٨..

وقد وردت مادة عقل في القرآن الكريم " ٤٩ مرة معظمها بصيغة المضارع، ففعل " تعقلون " تكرر ٢٤ مرة، وفعل " يعقلون " تكرر ٢٢ مرة، وفعل " عقل " و " نعقل " و " يعقل " جاء كل واحدٍ منها مرة واحدة ولم يرد لفظ العقل معرّفًا " (١).

فمن المعنى الثالث (الحجر والنهي) قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢) ، ومن المعنى الثاني (نقيض الجهل) قوله تعالى: ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣) ، ومن المعنى الأول (الحبس عن ذميمة القول والفعل) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤) .

وبهذا فإن مفهوم العقل في القرآن يأخذ مناحي متعددة، مجملها تشير إلى أنه أداة العلم والمعرفة، والتمييز بين الأشياء، والحبس والحجر عن الوقوع في المهالك والمضار، وذميمة القول والفعل لأن العاقل يعرف به الضار من النافع والخير من الشر .

وحين أتناول العقل في تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن ، فإنني أقصد بالعقل ذلك الجهاز الذي يتبنى عملية التفكير وصناعة المفاهيم وتحليل المعاني ، والتمييز بين سليمها وسقيمها ، فلا شك أن " منهج الله هو الأساس في بناء عقل الفرد المسلم السوي بإعداده الإنساني في تعامله، المميز في خصائصه، المؤثر في مجتمعه، القادر على القيام بمسئوليته في المجتمع، ومهامه في الحياة، الواعي لأهداف أمته، العامل على تحقيقها في واقع الممارسات اليومية، القادر على التفكير السليم، المستقل في شخصيته، المعترف بذاتيته، الملتزم في انتماؤه، المتوازن في شخصيته وتصرفاته وتفكيره ، وهذا لا يتم إلا إذا غذي بلبان هذا الدين في مدارج نموه ، ومعارض ارتقائه، ومراحل عمره " (٥) .

وفيما يلي نبرز لأهم تطبيقات المنهج القرآني في قصص إبراهيم عليه السلام . كنموذج . على منافذ العقل وتصاريفه :

• الحجة في الحوار وحصر العقل في دائرة التسليم :

إن المتدبر في حوار إبراهيم عليه السلام العقدي في القرآن ؛ يجد أنه اعتمد على الحجة والبرهان وإعمال العقل عبر منافذ متعددة ؛ كالنظر والتفكير، والاستفهام والسؤال، والاستنتاج والاستنباط، والحوار والنقاش ، وإثبات الحقائق وإبرازها، والتفكير والتدبر فيها، والدعوة إلى النظر في الآيات المعنوية والحسية ومدى نفعها للخلق وقدر

(١) العقل والعلم في القرآن الكريم، القرضاوي، يوسف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ص ١٣ بتصريف يسير .

(٢) سورة البقرة: ٤٤ .

(٣) سورة الأنبياء: ٦٧ .

(٤) سورة يس: ٦٨ .

(١) من أهداف الإسلام ، عبد الله بن محمد العجلان ، بحث بمجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢)، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

فائدتها والحصول منها، وتأتي دعوة إبراهيم عليه السلام خالصة ناصعة شاملة متكاملة تواجه الوثنية مواجهة حاسمة كما صورها القرآن الكريم، ووصى بها إبراهيم عليه السلام بنيه كما وصى بها يعقوب عليه السلام بنيه قبل أن يموت:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنْ يَدْعُونَ مِنِّي فَقَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنْ يَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (٢).

والتأمل في قوله تعالى (واذكر) يجد أن الله يصنع شخصية نبيه على عينه ، فقد " أمر الله جلَّ وعلا نبيه مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنْ يَدْكُرْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الْمُنَزَّلُ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَيَتْلُو عَلَى النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ نَبَأَهُ مَعَ قَوْمِهِ وَدَعْوَتَهُ لَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحُدَّةِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ " (٣).

وعلى نفس هذا السياق الإقناعي تكرر هذا المعنى المذكور في هذه الآية في آية أخرى في القرآن الكريم ، ونجد صلة قوية تربط بين هذا الأمر الإلهي التكويني للنبي صلى الله عليه وسلم وبين آيات سورة الشعراء السابقة . " فَقَوْلُهُ هُنَا : وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ ، هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ " ، وَزَادَ فِي الشُّعْرَاءِ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالَه لِأَبِيهِ مِنَ النَّهْيِ عَنِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ قَالَه أَيْضًا لِسَائِرِ قَوْمِهِ " (٤) .

والعبر تترى في قصص إبراهيم عليه السلام ، وكلها تخاطب العقل ، وتضعه على مدارج اليقين والإقناع ، فالإقناع لا يفرض فرضا ، ولكن يعرض بالحجة والبرهان ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٥) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) ،

(٢) سورة الشعراء ٦٩-٨٢ .

(٢) سورة مريم : ٤١ / ٤٤ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، ٤٢٣/٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٢) سورة الأنعام : ٧٤ .

(٢) سورة إبراهيم : ٦٩ / ٧٧ .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَتَقُولُونَ اللَّهُ لِيُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَعْفِفَنَّ لَكَ ﴿٤﴾ ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ ، وَهِيَ تَسْتَدْعِي الْعَقْلَ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ مِمَّا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ عَلَىٰ نَسْقِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ .

وقد أتى الله تعالى على محاجة إبراهيم عليه السلام قومه ورفع قدره بالحجة التي من الله عليه بها ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ﴿٦﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي ﴿٧﴾ ، وَأَصْلُ الْمِحَاجَةِ فِي الْآيَاتِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ ؛ هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِقَامَةُ الْحِجَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ قَدِ أَفْحَمُوا بِالْحِجَّةِ الْقَاطِعَةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ رَدِ الْكُفَّارِ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بَعْدَ أَنْ كَسَرَ أَصْنَامَهُمْ : ﴿ قَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٨﴾ ، وَوَأَضَحَ تَوْبِيخَهُمْ بِمَدَاهِمَتِهِمْ بِالتَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ رَغْمَ أَنْ لَهُمْ عَقُولًا ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ بِهَا .

وفي مواطن كثيرة " أراد إبراهيم أن يصرف قومه عما هم فيه من الشرك إلى الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له ، فاستدرجهم إلى التفكير في شأن الأصنام التي يعبدونها حين قال لأبيه وقومه : (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً) ؟ بهذا السؤال الإنكاري الذي يهز الغافلين ، وذلك في قوله : ﴿ وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا

(٢) سورة الأنبياء : الآيات : ٥١ / ٥٥ .

(٢) سورة الزخرف : الآياتان ٢٦ / ٢٧ .

(٢) سورة الصافات : الآيات : ٨٣ / ٨٥ .

(٢) سورة الممتحنة : آية ٤ .

(٥) سورة الأنبياء : الآياتان ٦٦-٦٧ .

(٦) سورة الأنعام : آية ٨٣ .

(٧) سورة الأنعام : آية ٨٠ .

(٨) سورة الأنبياء : آية ٦٥ .

تَعْبُدُونَ ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاكِفِينَ ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١﴾^(١) .

وبذلك " ناظر أهل الشرك وأدحض حججهم، وبين بطلان عبادتهم ، وسوء معتقدتهم ، فلما بهتوا وقامت الحجة عليهم لجئوا إلى الشدة والقوة، وألقوه في النار ظناً منهم أن ذلك هو طريق الخلاص منه ، ولكن الله أنقذه منها، ورد كيدهم في نحورهم وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام ، فأخرجوه من أرضهم، وتبرؤوا من دعوته " ^(٢) .

ونرى في خطابات إبراهيم جامعية بين العقل والعاطفة الوجدانية الفطرية ، وذلك لتأهيل شخصية السامع والقارئ تأهيلاً شاملاً ، فمن المنقصة التكوينية للذات المؤمنة تخفيف الحجة عن المؤثرات الوجدانية التي تنزع التسليم من العقل ، فتجاهل الدافع الروحي الشعوري سبب رئيس في تفاقم الإشكالات في التفكير وفهم القيم.

• إقناع العقل بعجزه وإثبات صفة القدرة لله تعالى :

من بلاغة الحجة التي من الله بها على إبراهيم عليه السلام في محاجته لقومه ، سرعة البديهة والتي تتجلى في موقف " النمرود " وهو الطاغية الجبار الذي كان يحكم الأرض التي يعيش فيها إبراهيم عليه السلام ، حين حاج إبراهيم عليه السلام في شأن الله الواحد الأحد سبحانه ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤) .

و " النمرود بن كنعان ، هو أول من تجرّب في الأرض وادّعى الربوبية ، ولما أوتي الملك حاجّ في الله تعالى ، وفي المحاجة وجهان محتملان : أحدهما : أنه معارضة الحجة بمثله ، والثاني : أنه الاعتراض على الحجة بما يبطلها ، " إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ " ؛ يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء ، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل ، فعارض اللفظ بمثله ، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتها " ^(٥) .

(١) الشعراء : ٦٩ - ٧٤ .

(٢) زكائر الإيمان ، محمد قطب ، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ص ٢٧٤ .

(٣) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام ، عبد المجيد بن سالم المشعبي ، (ط . أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، طبعة ثانية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٦ .

(٤) سورة البقرة: آية ٢٥٨ .

(٥) النكت والعيون ، الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

وقد خيب الله النمرود بهذا الرد وأغرقه في عين باطله ليقر بهوانه وضعفه ، ورغم ذلك لم يقطع إبراهيم حواره معه ، بل ماداه حتى فضح أمره على العالمين " قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فإن قيل : فَلِمَ عدل إبراهيم عن نصرته الأولى إلى غيرها ، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلى نصرته حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة .

والجواب الثاني : أنه لما كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أن يحتج عليه بما لا إشغاب فيه ، قطعاً له واستظهاراً عليه قال : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، أي تحير ، وقيل انقطع ^(١) ، وتلك عاقبة الجادل بالباطل ليدحض به الحق ؛ خسران وهوان وهزيمة .

• رسالة الحواس للعقل وإلزامه بالإقرار بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٢) :

مارس الخليل عليه السلام في مخاطباته العقلية أسلوب التهيئة والنقض ، فهياً لقومه أموراً افتراضية تنتهي بإثبات بطلانها عقلاً ومنطقاً ، ونسوق في ذلك مثالا يتعلق بالأجرام السماوية وفرضية كونها آلهة جدلا ، ومعلوم أن الكواكب والنجوم كانت تُعبد قديما ، وذلك حسب ما تثبته نصوص القرآن والمخلفات الموروثة من معتقدات ومن أعمال أدبية أو فنية كثيرة ، وقد أشير لذلك في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام ؛ حيث يذكر أن إبراهيم عليه السلام تفكر من قبل بالنجم وبالشمس والقمر ووجدها مخلوقات زائلة لا تصلح لأن تكون آلهة ، وقد من الله عليه برجاحة العقل ، وبلاغة الحجة ، وسرعة البديهة كما يبدو لنا في محاجته لقومه لإبطال الوثنية بالبرهان العقلي ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ، وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ^(٣) .

(١) نفس المصدر ، ص ٣٣٠ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) سورة الأنعام : ٧٤ - ٨٢ .

فالأيات تخبر أن "إبراهيم عليه السلام رأى كوكبا فقال هذا ربي ثم تبين له أنه ليس بإله ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الظالين ، فتبين له أنه ليس بإله ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون " (١).

" وَخَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام عَالِمٌ فِي ابْتِدَاءِ النَّظَرِ إِلَى الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ أَنَّ خَالِقَهُ عَالٍ فَوْقَ خَلْقِهِ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ " (٢) ، "لكنه أراد أن يتدرج بقومه عباد الأصنام درجة درجة حتى يصل بهم إلى اليقين ، فلما جن عليه الليل رأى في السماء كوكباً لامعاً ، فقال أمام قومه : سأخذ هذا الكوكب اللامع إلها ! فلما أفل أعلن لقومه أنه لا يعبد إلهاً يأفل ويغيب ! (قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَقْلِينَ) فلما رأى القمر بازغاً قال (متظاهراً) هذا أجدر أن يكون إلهاً ، فنوره أقوى من نور الكوكب ، ولكن القمر بدوره أفل ! فتظاهر بالحيرة : (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) ، وأخيراً طلعت الشمس بضياءها الساطع وحرارتها وقوة شعاعها فتظاهر بالفرح الشديد لعثوره أخيراً على الإله المنشود ! (قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) فلما أفلت الشمس أعلن أخيراً إعراضه عن كل تلك الآلهة الزائفة التي لا تستحق العبادة ، وتوجهه للإله الحق الذي فطر السماوات والأرض على استقامة لا رجوع فيها ولا انحراف عنها (وهذا معنى " حنيفاً ") وأعلن براءته التامة من كل شرك في عبادة الله ، ونستطيع أن نتصور بطبيعة الحال استنكار قومه لموقفه ومحاجتهم إياه ، وإن كانوا لا يملكون حجة حقيقية أكثر من أنهم يفعلون كما فعل آباؤهم فحسب ! " (٣).

وبهذا الدمغ لحجج القوم لا يجد العقل مناصاً إلا أن يرد الشخصية إلى مصدر واحد، تتلقى منه قيمها وشرائعها وتنظيم مسيرها ، وتجد جواباً لكل سؤال يجيش فيها، وهي تواجه الحياة والكون والحياة ، بكل ما يثار من علامات الاستفهام.

وعندما تتجلى هذه الكينونة في شخصية المسلم .. تتمثل فيه شعوراً وموحد سلوكاً، وتتناغم مع ذاته تصوراً واستجابة عقيدة ومنهجاً ، دنيا وآخرة ، وحينها تصبح في خير حالاتها، وفي أوج قوتها الذاتية، وفي أوج انتظامها وتناسقها وقناعتها بهذه العقيدة التي تؤهلها لأعظم الآثار، وتهيؤها لتؤدي أعظم الأدوار.

(١) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر ، ابن الحاج القفطي ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥) ص ٨٠ .

(٢) كتاب التوحيد ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه ، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان (مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة : الخامسة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٣) زكائز الإيمان ، محمد قطب ، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ص ٢٧٦ .

ومن هنا كانت تلاوة القرآن بتدبر "تعرفه . أي الإنسان . الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه وما له من الكرامة إذا قدم عليه ، وتشهده الآخرة حتى كأنه فيها ، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها ، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم ، فترية الحق حقا والباطل باطلا ، وتعطيه فرقانا ونورا يفرق به بين الهدى والضلال ، والغي والرشاد ، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحا وبهجة وسرورا فيصير في شأن والناس في شأن آخر ، فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه والعلم بالله وماله من أوصاف الكمال وما ينزه عنه من سمات النقص وعلى الإيمان بالرسول ، وذكر براهين صدقهم وأدلة صحة نبوتهم والتعريف بحقوقهم وحقوق مرسلهم " (١).

ولطالما بلغت هذه الحقيقة أوجها في شخصية المسلم ، وصارت مظهرا من مظاهرها ومركزا في جوهرها ، لطالما اتجهت إلى تحقيق غاية وجودها من العبادة الخالصة التي تتمثل فيها عبودية الإنسان لله تعالى وحده في كل ما يقوم به من شؤون الخلافة .

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم ، ج١ ، ص ٤٥١ .

الخاتمة

بعد هذا التطواف في شعاب البحث تأتي الخاتمة متضمنة في نتائج وتوصيات يبرزها الباحث فيما يلي :

أولا : أهم النتائج :

- ١ . ضرورة إطالة التأمل والتدبر في قصص القرآن لما لذلك من أثر في تثبيت قواعد الإيمان في قلب المسلم ، وتشديد بنيانه وتوطيد أركانه ، وتبصيره مواقع العبر وتشهده ، وتعريفه بالله وعظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، لذا أمر القرآن بإعمال العقل في الآيات الكونية، والجوانب المعنوية، والآيات التنزيلية، والتفكير المخلص، والتذكر، وغير ذلك.
- ٢ . عظمة منهج إبراهيم عليه السلام في تقويم بناء شخصية المسلم ، وضرورة دراسته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب على كل مسلم تجاهها ، ليلتزمها في كل شئون حياته العلمية والعملية، حتى تكون همّ حياته ومصدر سعادته مدركا أنه لا معنى لوجوده ، ولا سبيل لنجاته إلا بها.
- ٣ . جامعة مخاطبة القصص الإبراهيمي لمنظومة البناء الإنساني المادي والمعنوي وللكينونة الشخصية بكل توجهاتها وجمعها على مائدة اليقين ودقة التكوين على العقيدة التوحيدية النزيهة ، وإبطال الشرك بكل أشكاله بالحجة والرهان .
- ٤ . يسوق قصص إبراهيم عليه السلام كل مكونات الشخصية من العقل والقلب والروح والفضة والحواس إلى وجود الله وتنزيهه وتوحيده والتوكل عليه واليقين في نصره للمؤمنين والصبر عند ملاقات الأزمات بكل ألوانها وأشكالها .
- ٥ . إسقاط قصص إبراهيم عليه السلام لكل أشكال الإلحاد المعاصرة ، وإبطالها لعموم المعتقدات الفاسدة التي تشكك في الله تعالى ، وتوقف شخصية المسلم عند أبواب اليقين في وجود الله وفي صدق اليوم الآخر والبعث والغيب بكل مجالاته وأشكاله .

ثانيا : أهم التوصيات :

نخلص مما سبق إلى عدة توصيات أهمها :

- ١ . ضرورة تفعيل دور المؤسسات البحثية القرآنية وأنساقها في إعادة الأمة المسلمة إلى منهج التدبر في القصص القرآني والاعتبار بما فيه من كنوز تمثل منهجا حياتيا آمنا .
- ٢ . إقامة مؤتمرات وندوات دورية تجمع النخبة من أهل الدراية والاختصاص بغرض دراسة وإعداد خطط عملية للتدبر وسبل تفعيلها ، ومن ثم نشرها بين المؤسسات والمدارس القرآنية والتعليمية .
- ٣ . الإعداد لمشروع مركز كبير يعنى بالتدبر وتأهيله بكافة الإمكانيات ، وصولا إلى إنتاج أعظم العبر والقواعد والبرامج الإصلاحية للأفراد والمجتمعات أخذا بيد الأمة للنهوض عبر قنوات ربانية تضمن لها

النجاح والصدارة على العالمين ، على أن يسعى هذا المركز لطرح وتصدير البرامج والمناهج العملية التي تدعم مناهج المؤسسات التعليمية والمدارس القرآنية القائمة على تحفيظ القرآن الكريم ، ليكتمل البناء ويظهر الأثر العظيم للقرآن في الجيل المعاصر في ظل تحديات العولمة وأنساقها من التحديات المعاصرة التي تواجهه .

هذا غيض من فيض في موضوع التدبر المليء بالكنوز ، ولا يزعم الباحث أنه أحاط بكل جوانب الموضوع ، ولكنه جهد مقل يتغى رضوان الله تعالى ، والله غالب على أمره وعلى الله قصد السبيل .
وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس المراجع والمصادر

• القرآن الكريم.

- ١ . الإقتان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث ، القاهرة ، د. ت) .
- ٢ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) .
- ٣ . الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، محمد السيد أرناؤوط ، (مكتبة مدبولي ، د. ت) .
- ٤ . إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، (ط. دار ابن كثير - دمشق - بيروت ، طبعة رابعة ، ١٤١٥ هـ) .
- ٥ . إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .
- ٦ . الله والإنسان ، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربي ، د. ت) .
- ٧ . أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر ، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،.خامسة، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م) .
- ٨ . بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق: محمود مطر جي ، (ط. دار الفكر - بيروت ، د. ت) .
- ٩ . البحر المديد ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، (دار الكتب العلمية . بيروت ، طبعة ثانية / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ) .
- ١٠ . التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ، (ط. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م) .
- ١١ . تدبر القرآن ، سليمان السنيدي ، (ط. المنتدى الإسلامي ، ط. أولى ، ١٤٢٢ هـ) .
- ١٢ . التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي - بيروت ، طبعة أولى ، ١٤٠٥ هـ) .
- ١٣ . التفسير الواضح ، محمد محمود حجازي ، (ط. دار الجيل الجديد ، د. ت) .
- ١٤ . تفسير الماوردى ..النكت والعيون ، الماوردى ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
- ١٥ . التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام ، عبد المجيد بن سالم المشعبي ، (ط. أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، طبعة ثانية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) .
- ١٦ . جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باحس، (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. خامسة ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م) .

- ١٧ - الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط. دار الشروق، طبعة أولى، سنة ١٤٠٩ هـ .
١٩٨٩ م) .
- ١٨ . حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر ، ابن الحاج القفطي ، تحقيق : عبد
الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥) .
- ١٩ . الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفى، تقديم: محمد عبد الله السمان، تخريج: محمد صديق المنشاوي،
طبعة دار الفضيلة، د. ت .
- ٢٠ . ركائز الإيمان ، محمد قطب ، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحوذ (دار المعمور، الطبعة
الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) .
- ٢١ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل (ط. دار إحياء التراث
العربي - بيروت ، د. ت .
- ٢٢ . صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،
كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، (ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت .
- ٢٣ . العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوي، (طبعة دار السعادة، طبعة أولى، سنة ١٤١٨ هـ سنة ١٩٩٨ م).
٢٤ . العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،(ط. دار القلم . دمشق ، ط. ثانية ،
١٩٧٩ م).
- ٢٥ . العقل والعلم في القرآن الكريم، القرضاوي، يوسف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-
٢٠٠١ م).
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، (ط. مكتبة الغريباء
الأثرية، طبعة أولى، سنة ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ م) .
- ٢٦ . فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي، (ط. مكتبة الغريباء
الأثرية، طبعة أولى، سنة ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ م) .
- ٢٧ . الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب
الكريم، عباس محمود العقاد (طبعة دار نهضة مصر، د. ت .
- ٢٧ . قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى ، عبدالرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم - دمشق - ط. ثانية -
سنة ١٤٠٩ هـ) .
- ٢٨ . قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، (طبعة البابي الحلبي، سنة ١٣٨١ هـ . ١٩٦٧ م) .
- ٢٩ . كتاب التوحيد ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه ، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (مكتبة
الرشد - الرياض ، الطبعة : الخامسة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .
- ٣٠ . لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى) .
- ٣١ . مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢) .

- ٣٢ . مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی ، تحقیق : أنور الباز - عامر الجزائر (ط . دار الوفاء ، طبعة ثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) .
- ٣٣ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي أبو عبد الله ، تحقیق : محمد حامد الفقي (ط. دار الكتاب العربي - بيروت ، طبعة ثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣) .
- ٣٤ . المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، دراسة و تحقیق : يوسف الشيخ محمد (ط . المكتبة العصرية ، د. ت) .
- ٣٥ . معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي ، تحقیق : عبد الرزاق المهدي (ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت ، طبعة أولى ، ١٤٢٠ هـ) .
- ٣٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب) ، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. أولى ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .
- ٣٧ . معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقیق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي ، سنة ١٤٢٣ هـ) .
- ٣٨ . مفتاح دار السعادة ، ابن القيم الجوزية (ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت) .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة .
٤	أهمية البحث .
٥	الهدف من البحث .
٥	منهج الآيات في عرض موضوع الدراسة .
٥	خطة البحث .
٦	التمهيد : حول مفهوم التدبر :
٦	مفهوم التدبر .
٦	المراد بتدبر القرآن .
٨	المبحث الأول : تدبر قصص إبراهيم <small>عليه السلام</small> وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم :
٨	حول مفهوم الجانب الروحي .
٩	تدبر قصص إبراهيم <small>عليه السلام</small> وتحريك الجانب الروحي نحو الإيمان .
١٠	قصص إبراهيم <small>عليه السلام</small> وتوجيه الأرواح لتوحيد ربها .
١٢	ضبط الروح على نسق الفطرة النقية بتوحيد قصدها وتعلقها بربها .
١٤	المبحث الثاني : أثر تدبر قصص إبراهيم <small>عليه السلام</small> في ربط الميل القلبي بالله تعالى :
١٤	مفهوم القلب .
١٤	قيمة القلب في بناء عقيدة المسلم وتكوين شخصيته .
١٦	أولاً: تكوين السلامة القلبية من واقع حرص إبراهيم <small>عليه السلام</small> .
١٨	ثانياً: تكوين اليقين القلبي في الله تعالى من خلال تيقن إبراهيم <small>عليه السلام</small> .
٢٤	ثالثاً: موقف إبراهيم <small>عليه السلام</small> مع الذبيح إسماعيل <small>عليه السلام</small> وأثره في تكوين التسليم القلبي لله تعالى .

٢٥	ثمرّة تدبر قصص إبراهيم <small>عليه السلام</small> في تهيئة اتصال القلب بالله .
٢٧	المبحث الثالث : أثر تدبر قصص إبراهيم <small>عليه السلام</small> في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى :
٢٧	تطواف حول مفهوم العقل في القرآن .
٢٨	الحجة في الحوار وحصر العقل في دائرة التسليم .
٣١	إقناع العقل بعجزه وإثبات صفة القدرة لله تعالى .
٣٢	رسالة الحواس للعقل وإلزامه بالإقرار بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .
٣٥	الخاتمة :
٣٥	أولا : أهم النتائج .
٣٥	ثانيا : أهم التوصيات .
٣٧	فهرس المراجع والمصادر .
٤٠	فهرس الموضوعات .